



اسم المقال: عرض كتاب (الكذب والغش في السياسة: حقائق وأوهام ظاهرة خطيرة في الديمقراطية) للمؤلف فرناندو فاييسين

اسم الكاتب: قاسم عبد الكريم

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/7089>

تاريخ الاسترداد: 2026/04/13 19:27 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على

info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام

المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دولية جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.



الكذب والغش في السياسة: حقائق وأوهام ظاهرة خطيرة في الديمقراطية

كتاب للمفكر السياسي الإسباني فرناندو فايبيين

عرض: قاسم عبد الكريم/ اسبانيا

صدر عن دار النشر الاسبانية كالاكسيا غوتنبرغ Galaxia Gutenberg كتاب جديد للمفكر السياسي الاسباني، البروفسور فرناندو فايبيين Fernando Vallespin يتناول فيه ظاهرة الكذب والغش في السياسة وتزايدها منذ عقود عدة في الدول الديمقراطية، لتبرير تصرفات وأفعال غير مقبولة لبعض المسؤولين السياسيين، كثيراً ما تضعهم في حرج ومواقف صعبة أمام مواطنيهم، لأنها لاتنسجم مع مبادئ وقيم الديمقراطية.

قبل البدء في استعراض مختصر عن الكتاب الذي يُترجم عنوانه حرفياً: "الكذب يجعلكم أحراراً: الواقع والوهم في الديمقراطية"، في عبارة موجهة إلى السياسيين والمواطنين على حد سواء بنوع من السخرية، من الملائم التطرق إلى أهم جوانب الحياة الأكاديمية لمؤلف الكتاب. البروفسور فرناندو فايبيين هو من أساتذة علوم السياسة والاجتماع البارزين في اسبانيا وأوروبا، ويعمل منذ سنوات طويلة في اختصاص النظرية السياسية والفكر السياسي من خلال عمله الأكاديمي كأستاذ مقيم في جامعة اتونوما مدريد Universidad Autónoma de Madrid وكأستاذ محاضر في جامعات أوروبية وعالمية عدة، أبرزها جامعات هارفارد وفرانكفورت وهيدلبرج وفيراكروث وماليزيا.

له العشرات من الكتب الأكاديمية في علم السياسة، أهمها: تاريخ النظرية السياسية، بستة أجزاء ونظريات جديدة عن العقد الاجتماعي ومستقبل السياسة، فضلاً عن ما يقارب المائة من البحوث والدراسات الأكاديمية المنشورة في مجالات أوروبية وعالمية عدة متخصصة في علم السياسة. شغل منصب مدير مركز البحوث الاجتماعية في مدريد لسنوات عدة، وحالياً يشغل منصب مدير المعهد الجامعي اورتيجا غاسيت في مدريد للدراسات السياسية والاستراتيجية Instituto Universitario de Ortega y Gasset، ومستشار في مركز دراسات FRIDE للعلاقات والحوار الدولي في مدريد.

أما حالة الرئيسين السابقين جورج بوش وتوني بليز، يرى الكاتب أن تبريرهما لغزو العراق عام ٢٠٠٣ كان قائماً على الكذب وتزييف الحقائق. ومع انهما اعترفا بعدم العثور على أسلحة تدمير شامل في العراق وبخطأ المعلومات الاستخبارية التي استندا عليها في حملتهما للغزو، لم يتعرضا للمسائلة والمحاسبة بالشكل الذي كان يمكن أن تترتب عليه كل النتائج السياسية والقانونية الممكنة.

وأهم ما حدث في هذه الحالة، كان في بريطانيا، حيث تم تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق في دوافع الدخول في هذه الحرب لاتزال قائمة، لا يتوقع أن تخلص إلى نتائج مهمة. أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فنتائج هذه الحالة كانت أكثر غرابة بعد إعادة انتخاب الرئيس بوش في انتخابات عام ٢٠٠٤ على الرغم من ثبوت عدم صحة تبريره للغزو.

وعن حالة رئيس الحكومة الاسبانية، خوسي ماريا أثنار، يمكن القول انها الأخرى التي لم يتعرض فيها مسؤول سياسي كبير لأية محاسبة نتيجة إصراره على تأكيد مخالف للحقيقة كان يسعى من خلاله إخفاء الحقيقة لتضليل الرأي العام في بلاده وتفادي التأثير السلبي على ناخبيه قبل ثلاثة أيام من موعد الانتخابات العامة بسبب تأييد حكومته للغزو الأمريكي البريطاني للعراق ومعارضة جزء كبير من الرأي العام المحلي له.

فبعد وقت قصير من وقوع الاعتداءات الإرهابية في العاصمة مدريد في ١١/٣/٢٠٠٤ أخذت تتضح حقيقة الأحداث أمام الرأي العام الاسباني عندما تم التأكد من مسؤولية تنظيم "القاعدة" الإرهابي عن هذه الاعتداءات وعلاقتها بالموقف الاسباني تجاه الغزو وبشكل انعكس في نتيجة الانتخابات العامة التي نُظمت في ١٤/٣/٢٠٠٤، تمثل في هزيمة حزبه الحاكم وفوز منافس الحزب الاشتراكي المعارض، خلافاً لما كما كانت تُشير إليه استطلاعات الرأي.

كان أثنار قد برر كذبه أو أخفائه الحقيقة باستناده على ما كان يعتقد بتحليلات فورية قدمت له من مستشارين وخبراء مختصين، مع أنه كان يعرف جيداً أن منظمة "ايتا" الانفصالية التي تمارس العنف والإرهاب منذ عقود عدة لم ترتكب عملية إرهابية بهذه الضخامة التي سقط فيها ما يقارب المائتين قتيل وألف جريح في هجمات عدة متزامنة في وقت قصير جداً.

وفي الجزء الثاني، يتحدث المؤلف بمنظور فلسفي عن العلاقة بين الديمقراطية و"الحقيقة"، فهو يُشير إلى امكانية مواجهة الكذب والغش في السياسة إذا كانت الديمقراطية تسير في إطار متكامل وفعال. ويستند في ذلك على نظرة أكثر تفاعلية يطرحها اثنان من كبار المنظرين والمفكرين المعاصرين في علم السياسة، هما جون راولس John Rawls وجورجن هابرماس Jürgen Habermas في أعمال

والمؤسسات يتميز بسرعة النقاشات وتبادل الآراء والمواقف وبشكل مباشر يمكن استغلاله من بعض السياسيين في كذبهم عند ممارسة مسؤولياتهم السياسية.

وفي الجزء الرابع يواصل المؤلف طرح موضوعه في إطار تقنيات التواصل الحديثة التي أخذت القوى السياسية والاجتماعية تعتمدها للتواصل الاجتماعي ولتعزيز مكانة قياديتها أمام الرأي العام، بعد أن أصبح لها دور بارز في العمل السياسي لتدخل ضمن أولويات برامجها وخططها، لما توفره من فضاء واسع للتواصل والإعلام بمستجداته المتطورة، أحرها تطبيقات Web 2.0، التي كونت نوعاً جديداً من "المجتمع الافتراضي" له صفات تقنية خاصة به تختلف عن التفاعل التقليدي في المجتمع والقائم على التواصل وجهاً لوجه .

وعن هذا "المجتمع الافتراضي" يُشير المؤلف إلى أن هذه التقنيات الحديثة للتواصل قد منحت بعداً جديداً للعلاقة بين الواقع والافتراض، شكل التغيير الكبير والمدهش في هذا المجتمع الافتراضي الطارئ. ومن يراقب تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على سلوك الكثير من مستخدميها، لوصول إلى استنتاج مفاده أن هذه الشبكات حولت الحياة إلى الفضاء الافتراضي، وفي الوقت ذاته حولت هذا الفضاء الافتراضي إلى واقع.

يطرح المؤلف موضوع كتابه في إطار أسئلة عدة حول هذه الظاهرة وتأثيرها السلبي على الديمقراطية، وأهمها: "هل أن هيمنة "الوهم" أو الغش بشكل مطلق على السياسة في البلدان الديمقراطية أمر يُثير القلق؟ هل يمكن أن نكون في مجال من الحياة العامة يفتقد إلى ضرورة السعي للبحث عن حقيقة الأحداث وعن تقييم سياسي متنور، أو أن يكون هذا السعي للبحث متعثراً، ونظل نعتبر أنفسنا ديمقراطيين؟ وهل صحيح أنه لا توجد حدود مهمة لما يبدو من عدم امكانية تعديل مسار أحداث "واقعة"؟ وباختصار ما هي علاقة الديمقراطية بـ"الحقيقة"؟

في هذا السياق، يرى المؤلف الإجابة على هذه الأسئلة أمر بالغ التعقيد، لأنها تتضمن خليط من الاعتبارات الخاصة بتفسيرها ضمن معايير النظرية السياسية والتفسير الأمبريقي. فالتحدث عن الطريقة، التي يجب أن يكون فيها أداء السياسة تجاه "الحقيقة"، ليس ذاته إذا تأملنا حول الطريقة التي يتم التعامل بها في الديمقراطية كـ"أمر واقع".

وهنا يزداد الأمر تعقيداً إذا تعمقنا في فلسفة الديمقراطية، إذ ليس من السهل التمييز بين معايير النظرية السياسية والتفسير الأمبريقي لهذه الظاهرة، لأن استخدام الحقيقة في السياسة في الأنظمة الديمقراطية له بعد آخر لمفهوم "الحقيقة". فهناك تفاعل بين القيمة المعنوية أو الأخلاقية المتعلقة بالصدق

والصراحة من جانب، واحترام طبيعة الوقائع الذي يمكن وصفه بـ "محاسن الحقيقة" وعلاقتها بمصالح الأفراد أو المجموعات البشرية.

يرى المؤلف في كتابه أن الشكوك عن ظاهرة الكذب والغش في السياسة أخذت تتزايد في الكثير من الدول الديمقراطية منذ عقود عدة للتتحول إلى أمر واقع لا يمكن إنكاره، بشكل أصبح من الطبيعي أن ينظر الأشخاص إلى وجود ترابط بين السياسة وهذه الظاهرة. ففضية منظمة ويكيليكس Wikileaks قبل سنوات عدة، أثبت حقيقة ذلك.

فعلى الرغم من حالات الكذب والغش التي كشفتها هذه المنظمة في السياسة الخارجية الأمريكية عند تعاملها مع عدد من القضايا الدولية الراهنة، اقتصر اهتمام الرأي العام بما على الصدمة الكبرى التي تسببت لدى مختلف الأوساط العالمية في بداية ظهورها، ليتراجع الاهتمام بها ويدخل ضمن سير الأحداث السياسية العادية. ويدلل ذلك على أن مقياس الاهتمام يمثل هذه الظاهرة السلبية قد بلغ أدنى مستويات الاستياء والاستهجان من جانب المواطنين ومؤسسات المجتمع المدني تجاه هذه الممارسات الخاطئة.

ويؤكد أن عالم السياسة في عصرنا الحالي مليء بممارسات النفاق والغش وإخفاء الحقائق. ففي أنظمة الحكم الدكتاتورية بمختلف أشكالها الشمولية والسلطوية تدخل هذه الممارسات ضمن طبيعتها الاستبدادية، إلا أن حدوث هذه الظاهرة بشكل متزايد في الديمقراطية الحديثة يدعو إلى التوقف والتأمل لتحليل الظاهرة بموضوعية. وينتقد بشدة عدم تحرك المجتمع المدني ضدها بالشكل اللازم وقبوله بما كأمرو واقع وإلى وجود نوع من "التواطؤ" بين المواطنين والسياسيين ووسائل الإعلام، ويحذر من خطورتها على جودة الديمقراطية ومستقبلها.

ويستند في ذلك على قول الفيلسوفة السياسية الألمانية الأمريكية هانا أريندت Hannah Arendt الذي تُشير فيه بطرح نقدي إلى "أن الحقيقة لم تجد مكاناً بين محاسن السياسة، لكن الكذب في المقابل أُستخدم كأدوات مبررة في التعاملات السياسية".

وعن ممارسة النفاق في السياسة، يقول المؤلف أن أوروبا شهدت منذ نهاية القرون الوسطى وبداية حقبة التاريخ الحديث تزايداً لهذه الممارسة. فالأنظمة الملكية المطلقة روجت لهذه الممارسة لضمان البقاء في الحكم. فيما روجت لها طبقة رجال الدين "الأكليرويس clergy" للتخلص من ضغط المعارضين للتشدد الديني الذي مارسه في المجتمعات الأوروبية آنذاك. ويرى أن من يروج للكذب والغش في السياسة في الدول الديمقراطية في عصرنا الحالي هي وسائل الإعلام والاتصالات الحديثة في شبكة "الانترنت" التي

تتميز بدور بارز في التأثير على الرأي العام، من خلال قدراتها القوية على كيفية سرد الأحداث السياسية وامكانية إخفاء الحقائق أو تزييفها بشكل موجه يتناسب مع مصالحها وتوجهاتها.

ويوضح أنه لو سألنا اليوم أي سياسي عن تقييمه الصريح لهذه الظاهرة، فسنجده يفكر مع ذاته بشيء مماثل لما كتبه نيكولاس ميكافيلي Nicolás Maquiavelo إلى أحد أصدقائه في القرن السادس عشر قائلاً: "منذ وقت لم أعد أقول ما أعتقد به، ولم أعتقد بما أقوله. وإذا أقول الحقيقة يوم ما، فإنني أخفيها بين أكاذيب عدة بشكل يصعب العثور عليها".

وفي خاتمة الكتاب، يحذر المؤلف من مخاطر ظاهرة الكذب والغش في السياسة في الدول الديمقراطية، وإذا لم يتم تركيز الجهود على كشف عن هذه الظاهرة وانتقادها بشدة، فمن الممكن أن تسبب حالة من التباعد وعدم الثقة لدى المواطنين تجاه نظام الحكم الديمقراطي والإساءة لعالم السياسة المتضرر أصلاً بسبب الاخفاقات والعيوب التي كثيراً ما تُنسب إليه.

ويؤكد على ضرورة مواجهتها ومنع حدوثها بأكبر قدر ممكن من خلال التركيز على الاهتمام بدور المواطنين في السياسة والحياة العامة والتشدد في محاسبة ومسائلة المسؤولين السياسيين الذين يثبت ضلوعهم في هذه الممارسة، لأنها تتعارض مع أبسط أساسيات مبادئ وقيم الديمقراطية وبالتالي لايمكن القبول بها أو التعايش معها. ويدعو المواطنين إلى عدم السكوت ازاء هذه الحالات والعمل على كشفها، وأن تكون لهم القدرة على إبداء الرأي بحرية مطلقة وبشكل مؤثر حول واقع الأحداث.

في هذا السياق، يرى المؤلف أن ما يزيد القلق حول إبداء الرأي هو الذي يتعلق باختفاء "الواقع الموضوعي" الذي يقرره كل طرف من أطراف النزاع السياسي أو المواطنين ذاتهم. وإن "الرأي" حول ما هو "واقعي" أخذ مكانة "الواقع" الذي بدأ يفقد مكون "الحقيقة"، وأصبح يخضع لتقلبات رؤى الأفراد، ويمكن القول أن السياسة قد توقف أدائها في التمييز بين ما هو "حقيقي" وما هو "زائف"، وإن امكانية اعتماد حد أدنى من المراقبة العقلانية للخطاب السياسي من خلال الاستدلال النقاشي الهادئ والمفتوح أخذت تتلاشى.

ويوضح قائلاً: "أن التأكيد على تعدد الرؤى لـ"الواقع" قد تحول إلى فكرة متسلطة على عقول السياسيين الفاعلين، خاصة بعد أن تحول العمل السياسي إلى مجرد تنظيم إداري منتهج، بشكل أبعدهم عن مهمة تمثيلهم المواطنين ومصلحتهم ليقصر عملهم على إدارة الشؤون الفنية للمنظومة الاقتصادية التي فقدوا قدرة المبادرة فيها، الأمر الذي يلزمهم إخفاء عملهم السياسي أو ربما عدم قيامهم بأي عمل سياسي، خلف أسلوب تواصل يتميز بالبالغة والتعبير الخطابي".

في عنوان الكتاب أراد المؤلف التعبير بكلمة "الواقع" الإشارة إلى وقائع الكذب والغش التي يرتكبها العديد من السياسيين في الأنظمة الديمقراطية، وكلمة "الوهم" أراد الإشارة إلى فضاء الاتصالات الافتراضي في تقنيات التواصل الحديثة في الذي يلعب دوراً مهماً في التأثير على الرأي والمواقف تجاه هذه الظاهرة.